



(٤٣٥) - (٤٤٥)

عدد خاص

الزراعة وحياة الفلاح المصري في العصر الفاطمي

م . د افراح فايق حسن

وزارة التربية دىالى

wtgyujy@gmil.com

ملخص

ظل العصر الفاطمي قائم في مصر ما بين (٣٥٨ هـ - ٥٦٧ هـ)، ويمثل الحكم الفاطمي لمصر مرحلة أساسية من مراحلها التاريخية والحضارية، لقد كانت مصر بلداً زراعياً منذ قديم الأزل، والفلاح المصري يشكل هو غيره المجتمع المصري، وقد حظيت مصر باهتمامات المؤرخين من الناحية السياسية أكثر من الناحية الاقتصادية والحضارية، حيث يأتي ذلك الاهتمام بشكل موجز لا يعطي صورة واضحة عن الحياة الزراعية والنظم القائمة في تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية :

الزراعة المصري في العصر الفاطمي

Agriculture And The Life Of The Egyptian Farmer In The Fatimid Era**Dr. Afrah Faik Hassan****Abstract**

The Fatimid era remained in Egypt between (358 AH-567 AH), and the Fatimid rule of Egypt represents a basic stage of its historical and civilizational stages. Egypt has been an agricultural country since ancient times, and the Egyptian peasant constitutes other than the Egyptian society, and Egypt has enjoyed The interests of historians in political terms more in terms of economics and civilization, as this interest comes in a brief form that does not give a clear picture of the agricultural life and the existing systems in that period .

gieta ,agrrikul ,turoen



مقدمة:

لقد أنجب الإسلام عظماء في شتى العلوم والمعارف، وعلى مر العصور والدهور، وما يزال هذا الدين والى يوم القيامة ينجب العلماء الأفاضل، الذين يبينون شرع الله الخلق الله تعالى، و الأبطال الأشاوس الذين يدافعون عن حرماته ومقدساته، وكان صلاح الدين من هؤلاء الأبطال العظام الذين خلدتهم التاريخ وإلى الأبد، فللبطولة درجات وأنواع، فهناك في التاريخ بطولة محلية إقليمية على مستوى القرية أو المدينة أو الإقليم، وهناك بطولة عالمية على مستوى الوطن الكبير للإنسان، والبطل في النوع الأخير لا يخلد اسمه في تاريخ وطنه الصغير أو في تاريخ البشرية، فينال إعجاب الأعداء والأصدقاء جميعاً، فكان بطولة صلاح الدين من هذا النوع من البطولات العالمية، فيعتبر صلاح الدين من أكثر الشخصيات احتراماً وتقديراً عبر التاريخ في جميع أنحاء العالم، وقد كتب المؤرخون الأوروبيون كثيراً عن بسالة وشجاعة الملك الناصر، ووقفوا طويلاً أمام موقفه في حصار قلعة الكرك التي حظي بعدها صلاح الدين باحترامٍ وتقديرٍ قل نظيره حتى من ألدّ خصومه كملك إنجلترا (قلب الأسد) ريتشارد الأول المبحث الأول

مكونات الشخصية القيادية عند صلاح الدين الأيوبي

المطلب الأول: نسب صلاح الدين الأيوبي ومولده

العلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الإنسانية

نسب صلاح الدين

اتفق أهل التاريخ على أن شاذي من (دوين) وهي بلدة في آخر أعمال (أذربيجان) وأنهم أكراد روادية، بطن من الهذيانية، وكان شاذي من أبناء أعيانها، وكان له صاحب يقال له (بهروز) وكان بينهما اتحاد كما بين الأخوين. فجرت لبهروز قضية من "دوين" فخرج منها حياً وقصد أحد ملوك السلاجقة، فوجه الملك المجاهد بهروز والياً على (بغداد) فاستصحب معه "شاذي" فأقام بها إلى أن توفي (ابن خلكان، ١٩٧٨، ٢٣٢)



كان ابتداء أمر بني أيوب أن نجم الدين أيوب والد صلاح الدين وأخوه أسد الدين أبناء شاذي من بلدة " دوين " وأصلهما من الأكراد الروازية وهم من أشرف الأكراد، فقدموا إلى العراق وخدموا مجاهد الدين بهروز والي "بغداد" ورأى من نجم الدين عقلاً وحُسن سيرة، وكان أكبر من أسد الدين سنّاً فجعله مستخلفاً على قلعة تكريت فسار إليها ومعه أخوه أسد الدين (ابن كثير، ١٩٦٦، ٢٧١).

مولد صلاح الدين

اتفق أن أحد نساء القلعة خرجت لقضاء بعض حاجتها فعرضت على نجم الدين أيوب وأسد الدين وهي تبكي فسألها عن السبب فقالت: (وهي داخلة إلى القلعة تعرض لها، فأخذ " أسد الدين " حربته وقتله فاعتقله أخوه نجم الدين) (المقديسي، ١٩٦٢، ٣٤١).

كان نجم الدين عظيماً في الناس بالدين، والخير، وحُسن السياسة، وكان أخوه أسد الدين معه في القلعة، وأمتاز عليه بالبسالة والشجاعة كان ينزل من القلعة ويصعد إليها، وكان بينه وبين كاتب القلعة قوارض وهو رجلاً نصراني وفي ذلك اليوم صادف النصراني أسد الدين شيركوه وهو صاعد إلى القلعة فأسمعه كلمةً أوجعته فجرد أسد الدين سيفه وقتله

كتب نجم الدين إلى بهروز وعرفه الحال، وليفعل ما يراه، فوصل إليه جوابه (... لأبيكما على حق، بيني وبينه مودة متأكدة، وما يمكنني أن أكافئكما بحالة سيئة تصدر مني في حقكما، ولكن اشتهي منكما أن تتركاً خدمتي، وتخرجاً من بلدي، وتطلباً الرزق حيث شئتما...) لما وصلهما الجواب ما أمكنهم المقام بتكريت فخرجاً منها إلى الموصل، وفي ليلة خروجهما من تكريت وُلد لنجم الدين لملك الناصر صلاح الدين قال: فتشاءمت به لفقد بلدي ووطني، وقال له بعض الناس: نري ما أنت عليه من التشاؤم بهذا المولود فما يؤمنك أن يكون لهذا المولود مكانة عظيمة ؟ فكان كما يقول فاتصل بخدمة الملك عماد الدين زنكي ثم كانا عند نور الدين منقمان (ابن خلكان، ١٩٧٨، ٢٣٤).

المطلب الثاني نشاه صلاح الدين الأيوبي وتعليمه

هاجر الإخوان نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه من بغداد إلى الموصل، حيث نزلاً عند عماد الدين زنكي حيث رحب بالأخوين ترحيباً شديداً، وأجرى عليهما المنح والعطايا، وأقطعهما إقطاعاً حسناً، بسبب ما فعلاه معه يوم انهزامة من قراجة الساقى في سنة ستة وعشرين وخمسائة حيث وصل منهزماً إلى تكريت، فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن فعبّر إلى نهر دجلة (ابن خلكان، ١٩٧٨، ٢٣٤).



ولقد نشأ صلاح الدين في بلاط (نور الدين زنكي) في الموصل وقضى طفولته في ظل والده نجم الدين أيوب في بعلبك، وأخذ عن والده براعته في السياسة والشجاعة، والروح الحربية، وتعلم علوم عصره، وتتقف بثقافة أهل زمانه فحفظ القرآن الكريم، ودرس الفقه والحديث، وبعد مقتل عماد الدين زنكي رحل مع والده إلى، دمشق ودخل في خدمة نور الدين سلطان حلب أخ عماد الدين زنكي. فاستعان نور الدين بأسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين لتحقيق أغراضه في مصر، وتمكن بمعرفتهما من ضم مصر إلى أملاكه (المقديسي، ١٩٦٢، ٥٣٥).

ولم يزل صلاح الدين تحت رعاية أبيه حتى ترعرع، لازم نجم الدين أيوب محمود زنكي وكان في خدمته وكذلك صلاح الدين، وكانت بوادر السعادة عليه واضحة والنجابة تقدمه من حال إلى حال، ونور الدين يرى له ذلك ويؤثره، ومنه إلى (نور الدين) طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد (ابن كثير، ١٩٣٢، ٢٧٢).

المطلب الثالث: صفات صلاح الدين الايوبي الأيوبي

تقواه وعبادته:

لا شك أن تقوى الله وعبادته، والخشية منه، وحسن الظن به، والاعتماد عليه.. هي أول ما يجب أن يمتاز بها المسلم، وأفضل ما ينبغي أن يتصف به.. لأن الاعتصام بالسند الأكبر، والاتصال بالله والاستعانة به في كل ما ينوب ويروع، تجعل من المسلم أسداً كاسراً لا يعرف الهزيمة، وبطلاً مقدماً لا يهاب المنية، وشجاعاً كراراً لا يخشى جباراً ولا يهاب عدواً، وهذه السمة قد تحققت في البطل والقائد صلاح الدين (وكان رحمه الله حسن العقيدة، كثير الذكر لله تعالى، وقد أخذ عقيدته على الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء (الجزري، ١٩٦٦، ٣٤١).

أما الصلاة فإنه كان رحمه الله شديد المواظبة عليها حتى أنه ذكر يوماً أنه من سنين ما صلى إلا في جماعة.. وكان يواظب على السنن والرواتب، وكان له صلوات يصلها إذا استيقظ من الليل، وإلا أتى بها قبل الفجر.. وكان قدس الله روحه يصلي في مرضه الذي مات فيه قائماً، وما ترك الصلاة إلا في الأيام الثلاثة التي تغيب فيها ذهنه، وكان إذا أدركته الصلاة وهو سائر نزل وصلى وأما الزكاة فإنه مات ولم يحفظ ما تجب عليه به الزكاة، وأما صدقة النفل فإنها استغرقت جميع ما ملكه من الأموال، فإنه ملك ما ملك ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً



ناصرياً، وجراماً واحداً ذهباً، ولم يخلف ملكاً ولا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة، ولا شيئاً من أنواع الأملاك (حسن، ١٩٦٤، ١٦٩).

أما صوم رمضان فإنه كان عليه منه فوائت بسبب أمراض تواترت عليه.. وشرع رحمه الله في قضاء تلك الفوائت بالقدس الشريف في السنة التي توفي فيها، وأما الحج فإنه كان لم يزل عازماً وناوياً له، ولكن لم يتيسر له بسبب ضيق الوقت، وخلو اليد فأخره إلى العام المقبل فقضى الله ما قضى (ابن خلكان، ١٩٧٨، ١٤٤).

المبحث الثاني

السلام في حياة صلاح الدين الأيوبي

المطلب الأول: السلام في حياة صلاح الدين الأيوبي

على الرغم من تصاعد وتيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي فإن المصادر التاريخية الإسلامية تفيض بذكر حالات المروءة والإنسانية من قبل صلاح الدين الأيوبي في تعامله مع الصليبيين ولكن قبل أن نتحدث عن تعامل السلطان العظيم مع الأعداء التزاماً بتعاليم الإسلام الحنيف، سوف نلقى نظرة عامة عن وحشية الصليبيين في تعاملهم مع المسلمين. تليها نبذة عن معاملة المسلمين للصليبيين ليعقد أصحاب البصيرة مقارنة بين الغزاة وأصحاب الأرض.

ولقد وصف ستيفن رنسيما في كتابه " تاريخ الحروب الصليبية " ما حدث في القدس يوم دخلها الصليبيون فقال: (و في الصباح الباكر من اليوم التالي اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين، فأجهزت على جميع اللاجئين إليه، وحينما توجه قائد القوة ريموند أجيل في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه، وتركت مذبحه بيت المقدس أثراً عميقاً في جميع العالم، وليس معروفاً بالضبط عدد ضحاياها، غير أنها أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود؛ بل إن كثيراً من المسيحيين اشتد جزعهم لما حدث (ابن شداد، ١٩٦٤، ١٠).

وقد وصف كثير من المؤرخين أحداث المذبحة التي حدثت في القدس يوم دخول الصليبيين إليها، وكيف أنهم كانوا يزهون بأنفسهم؛ لأن ركب خيولهم كانت تخوض في دماء المسلمين التي سالت في الشوارع، و قد كان من وسائل الترفيه لدى الصليبيين أن يشووا أطفال المسلمين كما تشوى النعاج، لذلك كان من أهم أهداف صلاح الدين الأيوبي الاستيلاء على هذه القلعة وتأديب سيدها الجاحد الغادر،



فطالما بقيت هذه القلعة في يد رينالد دي شاتيون «أرناط». وأتم صلاح الدين استعداداه للهجوم على هذا الحصن وعسكر أمام أسواره فعلاً في نوفمبر سنة ١١٨٣م وتصادف في هذا الشهر أن الصليبيين كانوا يقيمون حفل زواج مهيب في القلعة الشهيرة، توافد عليه الضيوف من الصليبيين دون أن يدروا أن صلاح الدين في الطريق لحصار القلعة المنيعة، وما كاد الصليبيون يبدؤون مراسم الاحتفال، حتى أفزعتهم الأنباء عن الوصول المفاجئ لقوات صلاح الدين وتطويقه القلعة، وأن مجانيقه أخذت ترمي الأبراج الأمامية للقلعة، وسيطر الفرع على الصليبيين وبخاصة حين هرب سيد القلعة نفسه أرناط (الشهمي، ١٩٨٠، ٧٠).

وهنا أقدمت والدة العريس على خطوة تعرف وقعها على صلاح الدين الأيوبي بما اشتهر عنه من روح إنسانية نبيلة، وإيثاره التسامح في جميع أعماله حتى في العمليات الحربية نفسها، إذ أعدت صحونا من طعام العرس، وبعثت بها إلى صلاح الدين، وأرسل صلاح الدين مقابل ذلك يسأل بأي الأبراج ينزل العروسان؟ ثم أصدر الأوامر بالألا يتعرض هذا البرج للقصف، وبرغم سيطرته الكاملة على الموقف، إلا أن إنسانية صلاح الدين وحرصه على تطبيق كل قيم ومبادئ التسامح، فرضت عليه أن يستجيب لطلب الصليبيين عقد هدنة تتيح لضيوف العرس الحرية في العودة إلى ديارهم.

وتتجلى أيضاً إنسانية صلاح الدين الأيوبي في التعامل مع أسرى الصليبيين والاستجابة لمطالبهم المشروعة وعدم إهدار حق واحد من حقوقهم؛ خاصة حين سار بعد انتصاره في حطين إلى بيت المقدس لاستردادها، إذ أكرم كل من استسلم له من كبار الصليبيين الذين كانوا يمتلكون مدن الساحل الفلسطيني ومن بين هؤلاء كونتيسة طرابلس، التي عاملها صلاح الدين بما يليق بها من الحفاوة والتشريف، وأذن لها ولحاشيتها بالتوجه إلى طرابلس (ابن شداد، ١٩٦٤، ٩).

وتحرك صلاح الدين بعد ذلك إلى عسقلان، فحاصرها، وكان ملك بيت المقدس أسيراً عند السلطان منذ موقعة حطين، فأرسل إلى السلطان في أن يطلقه مقابل نصحه للصليبيين الموجودين في عسقلان بترك المقاومة وتسليم المدينة، فوافق صلاح الدين على ذلك. وقد استجاب الصليبيون للنصح بعدما تأكدوا من حرج موقفهم وطلبوا الأمان وتسليم المدينة، فأجابهم صلاح الدين وخرجوا بنسائهم وأولادهم وأموالهم إلى بيت المقدس آمنين، وتسلم صلاح الدين المدينة بعد احتلال صليبي لها مدته خمسة وثلاثون عاماً (ابن التركماني، ١٩٣٥، ٤٠).



وتسجل صفحات التاريخ أن صلاح الدين أوفى بوعده مع ملك بيت المقدس، إذ أطلق سراحه في أثناء حصاره لحصن الأكراد، وشرط عليه ألا يشهر في وجه السلطان سلاحاً أبداً، فوافق على ذلك، لكنه ما إن بلغ مأمنه في صور حتى نسي العهد وانضم هناك إلى الصليبيين في قتال صلاح الدين. وسمح صلاح الدين لأهل عسقلان بعد استسلامهم بأن يغادروها وأن يحملوا معهم أمتعتهم، وتولى عساكره حراستهم إلى مصر، حيث جرى توفير أسباب الراحة لهم في أثناء مقامهم بالإسكندرية حتى رحيلهم إلى بلادهم في أوروبا (الجزري، ١٩٦٦، ٣٤١).

وتتعدد مواقف صلاح الدين في التسامح؛ إذ يذكر التاريخ أن سيدة من نساء الصليبيين فقدت رضيعها في الفوضى والاضطراب الذي حل بالصليبيين بعد هزيمتهم في معركة حطين، فتعالى صراخها حتى وصل خبرها إلى ملوكهم، فقالوا لها: إن صلاح الدين رجل رحيم القلب، وقد أذن لك في الخروج إليه، فأخرجي واطلبيه منه، فإنه يرده عليك (ابن خلكان، ١٩٧٨، ١٤٥).

المطلب الثاني: إصلاحات صلاح الدين الأيوبي

١- إصلاحاته الاقتصادية

- اهتمامه بالزراعة والتجارة: لأجل أن يجنب صلاح الدين البلاد ويلات المجاعات التي تسببها الحروب اعتنى بالزراعة ووسائل الري اعتناء بالغاً، لتتبت الأرض أطيب الثمرات، وتنتج من كل زوج بهيج، وقد تعاونت مصر والشام في تبادل المحاصيل الزراعية، وتعزيز المصالح الاقتصادية، وتموين الجيوش بالثروات اللازمة، ووقف الإقليمان جنباً إلى جنب أمام اعتداءات الفرنج الغادرة، وتزويد الجيش الإسلامي بكل ما يلزم من مواد غذائية وعتاد، كما عنى صلاح الدين بالتجارة عناية كبيرة، فكانت مصر في عهده حلقة الاتصال بين الشرق والغرب، وقد انتعشت مدن أوروبية كثيرة بسبب هذه التجارة مثل مدينة "البندقية وبيزا" الإيطاليتين، وقد سمح البنادقة فيما بعد بتأسيس سوق تجارية في الإسكندرية كان يطلق عليه "سوق الأيك" وأولى صلاح الدين الأسواق التجارية كل اعتنائه واهتمامه حتى يزدهر الاقتصاد ويزداد الإنتاج في دولته (الشهمي، ١٩٨٠، ٧٠).

-اهتمامه بالصناعات: اهتم صلاح الدين بصناعة السلاح والمنسوجات والأقمشة والملابس الحريرية المزركشة وسروج الخيل المطهمة، وصناعة الزجاج، كما انتشرت في عهده صناعة الخزف والفسن والأساطيل إلى غير ذلك مما يزهر الاقتصاد، ويضاعف الإنتاج ويمكن للدولة أسباب القوة، ولقد كان



أصحاب الحرف والصناع في عهد الدولة الأيوبية من أكثر الناس وفاء لتقاليدهم الموروثة فقد بقيت طوائف العمال والحرف تسير على نفس النظم والطرق الصناعية التي كان مستعملة في العهود التي سبقتها وكان الصناع ينتظمون في نقابات تحمي حقوقهم وتشرف على تأدية واجباتهم على الوجه الأكمل بحيث كان لها نظمها وتقاليدها التي يحترمها الجميع وتؤيدها الدولة بنفوذها.

٣- الإصلاح الاجتماعي: كانت الحياة الاجتماعية في عهد صلاح الدين تتسم بطابع الجدية ومناهضة الفرنج، ومكافحة العدو، وكانت بعيدة كل البعد عن مظاهر الأبهة الفارغة الكاذبة، والعظمة الكاذبة، والبذخ المفرط، وكان رحمه الله يعطي لجنوده ورعيته القدوة الحسنة في اللباس العادي، والطعام الخشن، والمجالسة المتواضعة، يقول العماد الأصفهاني في وصف ملبسه ومخالطته: كان لا يلبس إلا ما يحل لبسه كالكتاب والقطن والصوف وكان من جالسه لا يعلم أنه جالس سلطاناً لتواضعه وكان صلاح الدين رياضياً يحب الفروسية ولعب الكرة ويشجع عليها.

٤- الإصلاح العمراني: من هذه الإصلاحات أنه اهتم بسور القاهرة، فلما كان قد تهدم أكثره وصار طريقاً لا يرد داخلاً ولا خارجاً، فقد سورها، وانتدب للإشراف على عمارة السور "الطواشي بهاء الدين قراقوش". وقياس هذا السور من أوله إلى آخره يمتد حول المدن التي كونت مدينة القاهرة، في عهده وهي "مدينة الفسطاط" التي أنشأها عمرو بن العاص، ومدينة العسكر التي أنشأها صالح بن علي العباسي، ومدينة القاهرة التي أنشأها جوهر الصقلي والهدف من إقامة هذا السور حماية البلاد من كيد المعتدين بالإضافة إلى بناء السور بنى قلعة الجبل ليرد عن القاهرة غائلة الأعداء الغادين غير أنه لم يستطع أن يكمل البناء جميعاً لانشغاله بالحروب في شتى الميادين (ابن التركمانى، ١٩٣٥، ٩٦).

المطلب الثالث: عبقرية صلاح الدين الأيوبي العسكرية

إنجازاته العسكرية

- لقد قاد صلاح الدين مرحلة هامة جداً لاستعادة القدس، يسميها بعضهم مرحلة الاسترداد، وقد استند في هذا المشروع الضخم إلى إقامة دولة إسلامية موحدة تمتد من ليبيا إلى اليمن إلى الشام. وتحقق له الحلم وفتح بيت المقدس بعد معركة تاريخية لا يزال صدى تكبيرات الانتصارات فيها يتردد إلى اليوم. هي معركة حطين (ابن كثير، ١٩٣٢، ٢٨٠).



- فعاش صلاح الدين في أحد أخطر المراحل التاريخية التي مرت على العالم الإسلامي تتربصه جيوش الأعداء ومؤامرات الخونة واللئام فتجاوز كل العقبات وقلب موازين القوى وحقق النهاية السعيدة، لكن الصحيح أنها كانت نهاية تغاني سلسلة طويلة من أبطال المقاومة والجهاد لا يقلون بريقاً وإخلاصاً - كما نحسبهم - لدينهم وأمتهم، أمثال القائد نور الدين زنكي، والذين كانوا يكبرون مع الأيام وتعاكسهم الظروف إلى أن جاء صلاح الدين يتمتع بالصفات التي كانت تحتاجها تلك الفترة العصيبة، وقدم نموذج المجاهد الذي بمثله يحقق ما حقق.

- ولقد اعتمد صلاح الدين على مفهومين أساسيين لبناء قبة النصر، الأول هو إيمانه المطلق في أن الجهاد هو الحل، والثاني، إدراكه التام أن الأمر لن يتم بدون توحيد الجبهة الإسلامية التي كانت مفككة متفرقة آنذاك، وهما المفهومان نفسها اللذان انطلق منهما نور الدين زنكي ولكن الموت قطع عليه طريق العطاء (الجزري، ١٩٦٦، ٣٤٨).

- أما عن توحديه للجبهة الإسلامية فبدأت عملية توحيد الجبهة الإسلامية بأول خطوات عمل عليها عماد الدين زنكي بعد أن تولى الموصل - ذات الأهمية الاستراتيجية التي فاقت بغداد في ذلك الزمان - وتولى معها عملية الجهاد وجمع إمارتي الموصل وحلب، فتمكن من توحيد الجبهة الإسلامية في الشام، ومشى بعدها الخطوة الأولى في المشروع الضخم لاقتلاع الاحتلال الصليبي، بتدمير أول إمارة لهم هي إمارة الرها (حسن، ١٩٦٤، ١٦٩).

ويرجع المؤرخون فترة عماد الدين كبدية فترة التوازن مع القوى الصليبية والتي لم يكن ليحققها لولا أنه استند إلى المشاعر الدينية التي أوقد شعلتها العلماء والوعاظ في الناس، وتزاحمت الجماهير على أعتاب المساجد كما جرى في بغداد سنة ٥٠٥ هـ، حين كسر الصاخبون الباكون المنبر واستجاروا بنخوة الخليفة والسلطان السلجوقي، وبنفس الطريقة استجاب المسلمون في بلاد الشام وخرج أهل حلب نساءً ورجالاً وصبياناً سنة ٥٣٢ هـ ودخلوا المساجد ومنعوا الناس من الصلاة، مطالبين بالجهاد حتى كسروا المنابر! (ابن خلكان، ١٩٧٨، ١٤٠).

مواقفه التاريخية

لقد دخل صلاح الدين الجو السياسي من بابه الأوسع، والجو في غاية الاعتراك والتعقيد والترقب، وميزان القوى بين الجبهة الإسلامية الناشئة وبين الصليبيين قابل لكل احتمال، لا سيما وأن الجبهة المصرية الفاطمية كانت تعاني من الفوضى والضعف الشديد، والمراقبون من الصليبيين والمسلمين مع



نور الدين، ينظرون بعين القلق إلى تطوراتها، الأوائل يطمعون في الاستيلاء عليها لضمان استقرارهم ونور الدين يخشى على الجناح الإسلامي الثاني أن ينهار ويحتله الصليبيون. وتطورت الأحداث على محور الزمن وتسارعت معها المتغيرات، وعمد شاور للتحالف مع الصليبيين وإدخالهم إلى مصر فأرسل له نور الدين، أسد الدين شريكه فقتله، وحينها أسند الخليفة العاضد الفاطمي الذي كان مجرد خليفة شكلي لا صلاحيات له تماماً كما كان حال الخليفة العباسي، أسند الوزارة إلى أسد الدين وبعد وفاته انتقلت ليد صلاح الدين على عمر يناهز ٣٢ سنة، ومنذ ذلك التاريخ بدأ صلاح الدين في إحداث تغييرات كبرى في مصر (الجزري، ١٩٦٦، ٣٠٤).

الخاتمة

أنجب الإسلام عظماء في شتى العلوم والمعارف، وعلى مر العصور والدهور، وما يزال هذا الدين والى يوم القيامة ينجب العلماء الأفاضل، الذين يبينون شرع الله لخلق الله تعالى، والأبطال الأشاوس الذين يدافعون عن حرمانه ومقدساته، وكان صلاح الدين من هؤلاء الأبطال العظام الذين خلدتهم التاريخ والى الأبد. واعلم " أن للبطولة درجات وأنواع، فهناك في التاريخ بطولة محلية إقليمية على مستوى القرية أو المدينة أو الإقليم، وهناك بطولة عالمية على مستوى الوطن الكبير للإنسان، والبطل في النوع الأخير لا يخلد اسمه في تاريخ وطنه الصغير أو في تاريخ البشرية، فينال إعجاب الأعداء والأصدقاء جميعاً، ويردد اسمه أناس لا تربطهم به صلة من الصلات إلا صلة الانتماء إلى الوطن البشري الكبير"، فكان بطولة صلاح الدين من هذا النوع من البطولات العالمية صلاح الدين الذي أحيى روح الجهاد بعد ما خمدت، ونزع الخوف من قلوب المسلمين، ووجد صفوفهم، فاسترد بيت المقدس بهم بعد ما فقد، فكان هو المهندس لهذا الفتح العظيم، صلاح الدين وقبل فتحه القلاع والحصون فتح القلوب والصدور بعدله، وكرمه، و إحسانه، ولطفه، وحلمه، وسماحته، وحبه لرعيته، ووفائه...، ثم بعدها سار إلى فتح البلدان بعد زرعه الأمان بأخلاقه النابعة من روح الدين الإسلامي.

المصادر

١. ابن التركماني، على بن عثمان المارديني. (١٩٣٥). الجوهر النقي - مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية بالهند ١٣٥٤ هـ

٢. ابن خلكان. (١٩٧٨). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٦.



٣. ابن شداد، بهاد الدين. (١٩٦٤). النوادر السلطانية والمحاسين اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة.
٤. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء. (١٩٦٦). البداية والنهاية. ط١ ج١١ وج١٢.
٥. الجزري، علي بن محمد بن الأثير. (١٩٦٦). الكامل في التاريخ. دار صادر بيروت.
٦. حسن، علي إبراهيم. (١٩٦٤). مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، ط٥، مطبعة السعادة، النهضة المصرية.
٧. الشهيمي، حمزة بن يوسف بن إبراهيم (١٩٨٠). تاريخ جرجان، طبعة بيروت عالم الكتب.
٨. المقديسي، عبد الرحمن بن إسماعيل أبي شامة. (١٩٦٢). الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. القاهرة.
٩. النيسابوري، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج. (١٩٩٢). صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - موسوعة السنة - ط٢ دار سحنون.

JOBS



مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal



ISSN 2306-5249

العدد الثاني
٢٠٢١م / ١٤٤٢هـ



مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الإنسانية